إِدْرَاكُ السَّلَفِ لِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا:

نَظْرَتُهُمُ الثَّاقِبَةُ إِلَى مَآلِ الأُمُورِ وَفِقْهُ الْفِتَنِ، مُسْتَنِيرِينَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعِيدِينَ عَنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَحُبِّ الدُّنْيَا، لَا تَسْتَهْوِيهِمُ الْمَنَاصِبُ وَلَا الأَمْوَالُ، مُحَافِظِينَ عَلَى دِينِهِمْ وَلُزُومِ سُنَّةِ الرَّسُولِ، تَارِكِينَ الْخَوْضَ فِي الْبِدَعِ وَفِتَنِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. كُنْ كَسَلَفِكَ الصَّالِحِ، مُحَافِظًا عَلَى دِينِكَ وَمُتَمَسِّكًا بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ وَهَدْيَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالأَثَرِ.

قَالَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضيَ اللهُ عنهُ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلا بَلاءً وَفِتْنَةً، وَلَنْ يَزْدَادَ الأَمْرُ إِلا بَلاءً وَشِدَّةً، وَلَنْ تَرَوْا مِنَ الأَئِمَّةِ إِلا غِلْظَةً، وَلَنْ تَرَوْا أَمْرًا يَهُولُكُمْ وَيَشْتَدُّ

عَلَيْكُمْ إِلا حَضَرَهُ[1] بَعْدَهُ مَا هُو أَشَدُّ مِنْهُ، أَكْثَرُ أَمِيرٍ وَشَرُّ تَأْمِيرٍ». قَالَ أَحْمَدُ: اللَّهُمَّ رَضِينَا.

أَثَرٌ حَسَنٌ

أَخْرَجَهُ ابْنُ الْخَلَّالِ فِي «السُّنَّةِ» (ج١ ص٩٣ ح٢٩ و٣٠)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبَانَةِ الْكُبْرَىٰ» (ج١ ص١٨١ ح١٦)[2]، وَابْنُ الْبَنَّا الْبَغْدَادِيُّ فِي «الرِّسَالَةِ الْمُغْنِيَةِ فِي السُّكُوتِ وَلُزُومِ الْبُيُوتِ» (ج٢ ص٣١١)، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ كَمَا فِي «الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ» (ج١١ ص١٦٩)، وَنُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي «الْفِتَنِ» (ج١ ص٤٠ ح٤٤)[3] مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ[4]، قَالَ: حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو عُمَرَ السَّكْسَكِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ السَّكُونِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بِهِ.

---

(١) مَعْنَىٰ حَضَرَهُ: أَي جَاءَ بَعْدَهُ أَوْ تَلَاهُ.

(٢) الكِتابُ الأَوَّلُ: الإيمانُ.

(٣) وتابَعَ أبو المُغِيرَةِ؛ بَقِيَّةُ بنُ الوَلِيدِ، والحَكَمُ بنُ نَافِعٍ من طَرِيقِ نُعَيمِ بنِ حَمَّادٍ عنهم.

(٤) قالَ ابنُ حَجَرٍ في «تقريبِ التهذيبِ» (ص٦١٨)؛ أبو المُغِيرَةِ هو عبدُ القُدُّوسِ بنُ الحَجَّاجِ الخَوْلَانِيُّ أبو المُغِيرَةِ الحِمْصِيُّ، ثِقَةٌ، من التاسِعَةِ، ماتَ سنةَ اثنتي عَشْرَةَ.

وهذا سَنَدُهُ حَسَنٌ، فيهِ عاصِمُ بنُ حُمَيْدٍ السَّكُونِيُّ الحِمْصِيُّ، قالَ عنهُ ابنُ حَجَرٍ في التَّقْرِيبِ (ص٤٧١): صَدُوقٌ مُخَضْرَمٌ، منَ الثَّانِيَةِ.

تأمَّلْ في تسليمِ الإمامِ أحمدَ لكلامِ السَّلَفِ، فلم يَعْتَرِضْ علىٰ فَهْمِ السَّلَفِ كما يَفْعَلُ أهلُ التَّحَزُّبِ والبِدَعِ؛ بأنَّ الحُكَّامَ قد استأثروا بخيراتِ البلادِ، وتَسَلَّطُوا علىٰ العبادِ، وظَلَمُونَا حقوقَنا، بل قال: اللهمَّ رَضِينَا. هذا يَعْكِسُ عُمْقَ إيمانهِ وثِقَتَهُ في حِكْمَةِ اللهِ وعَدْلِهِ، ويُظْهِرُ لنا كيف كان الإمامُ أحمدُ يَتَّبِعُ نَهْجَ السَّلَفِ في التَّسْلِيمِ والرِّضَا بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ، مما يَعْكِسُ قُوَّةَ إيمانهِ وصَبْرِهِ علىٰ البَلَاءِ.

قالَ شيخُنا فوزي الأثريُّ في «ذمِّ الدُّنيا» (ص١١): (فإنَّ الدُّنيا ليستْ مقصودةً لنفسِها، وإنَّما جعلَها اللهُ طريقًا موصلًا إلىٰ الآخرةِ، ولم يجعلْها دارَ إقامةٍ، ولا جزاءٍ، وإنَّما جعلَها دارَ بلاءٍ واختبارٍ. اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ). اهـ

«اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَةِ»